المحاضرة التاسعة : نظرية الغرس الثقافي

تطور نظرية الغرس الثقافي :

الغرس (الإنماء) : يعرف أنه زرع وتنمية مكونات معرفية ونفسية تقوم بها مصادر المعلومات والخبرة لدى من يتعرض لها، ومصطلح الغرس أصبح منذ سبعينيات القرن الماضي يرتبط بالنظرية التي حاولت تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الإعلام خاصة التلفزيون، والغرس يعتبر حالة خاصة من عمليات أوسع هي التنشئة الاجتماعية.

ترتبط نظرية الغرس الثقافي بتناول تأثيرات وسائل الإعلام، كما تهتم بالتأثير التراكمي طويل المدى لوسائل الإعلام، حيث يشير الغرس إلى تقارب إدراك جمهور التليفزيون للواقع الاجتماعي، وتشكيل طويل المدى لتلك الإدراكات والمعتقدات عن العالم نتيجة للتعرض لوسائل الإعلام. إذ أنها تقوم على العلاقات طويلة الأمد بين اتجاهات وآراء الأفراد من ناحية، وعادت مشاهداتهم من ناحية أخرى، لذا فقد أكد جربنر Gerbner (أستاذ اعلام وصحفي) وزملاؤه على أن نظرية الغرس ليست بديلاً وإنما مكملاً للدراسات والبحوث التقليدية لتأثيرات وسائل الإعلام، ففي الغرس لا يوجد نموذج قبل أو بعد التعرض، ولا نموذج للاستعدادات المسبقة كمتغيرات وسيطة لأن التليفزيون يشاهده الأفراد منذ الطفولة، كما أنه يشكل دوراً كبيراً في هذه الاستعدادات المسبقة التي تعتبر متغيرات وسيطة بعد ذلك.

مضمون النظرية

تفترض النظرية أن الأشخاص الذين يشاهدون كميات ضخمة من البرامج التلفزيونية (كثيفو المشاهدة) يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي عن أولئك الذين يشاهدون كميات قليلة من البرامج أو لا يشاهدون (قليلو المشاهدة)،ويرى واضعو النظرية أن وسائل الاتصال الجماهيرية تحدث آثاراً قوية على إدراك الناس للعالم الخارجي، خاصة هؤلاء الذين يتعرضون لتلك الوسائل لفترات طويلة ومنتظمة

وخلصت النظرية إلى أن الذين يشاهدون التلفزيون بكثافة يعتقدون أن ما يشاهدونه من خلال التلفزيون من واقع وأحداث وشخصيات هي صور مطابقة لما يحدث في الحقيقة وفي الحياة،

الخلفية التاريخية للغرس الثقافي:

ارتبط التأسيس الأول للغرس الثقافي لطروحات الباحث " والتر ليبمان " الذي قدم مفهوم للصورة الذهنية التي تتشكل في أذهان الجماهير من خلال وسائل الاعلام سواء عن أنفسهم أو عن الآخرين، إذ أرى ليبمان أن هذه الصورة تكون أحيانا بعيدة عن الواقع (بيئة زائفة) نتيجة عدم وجود رقابة على المواد المعروضة في وسائل الإعلام مما يؤدي إلى غموض في الحقائق وتشويه المعلومات وسوء فهم الواقع، ومن خلال هذا الطرح أن نظرية الغرس تجتمع مع نظرية ترتيب الأولويات في فكرة أن المتلقين يدركون الواقع من خلال وسائل الاعلام (فضاء رمزي) وليس من خلال التجربة في العالم الفعلي (الفضاء المادي).

المفاهيم مرتبطة بالنظرية

يقدم جيرنبر مشروعا متكاملا لدور التلفزيون في بناء الصور الذهنية للمتلقين وكيفية ارتباط ادراك واقعهم بما يقدمه التلفزيون، وقد أسماه مشروع " **المؤشرات الثقافية** " والذي يرتبط أساسا بالمرتكزات التالية :

1- **مفهوم الاتجاه السائد:** يقصد بالاتجاه السائد التجانس بين الأفراد ذو درجة الكثافة الواحدة في اكتساب الخصائص الثقافية المشتركة للمجتمع التي يقدمها التلفزيون كقناة ثقافية حديثة والصور التي يراها. و بالتالي يمكن الكشف عن التباين في

إدراك العالم الخارجي بين الذين يشاهدون التلفزيون بدرجة أقل " light viewers " و بين الذين يشاهدونه بكثافة كبيرة " heavy viewers " وبالتالي فإن الاتجاه السائد عبارة عن نسيج من المعتقدات و القيم و الممارسات التي يقدمها التلفزيون في صور مختلفة و يتوحد معها كثيفو المشاهدة و لا تظهر بينهم الفروق كبيرة في اكتساب هذه الصور أو الأفكار باختلاف خصائصهم الاجتماعية أو السياسية. و بالتالي فإن الاتجاه السائد يشير إلى سيطرة التلفزيون في غرس الصور و الأفكار بشكل يجعل الفوارق أو الاختلافات تقل أو تخفي بين الجماعات ذات الخصائص المتباينة .

2-مفهوم الصدى أو الرنين : يقصد بالصدى أو الرنين تلك التأثيرات المضافة للمشاهدة بجانب الخبرات الأصلية الموجودة فعلا لدى المشاهدين. وبذلك فإن المشاهدة يمكن أن تؤكد هذه الخبرات من خلال استدعائها بواسطة الأعمال التلفزيونية التي يتعرض لها الأفراد أصحاب هذه الخبرات بكثافة أعلى. و ركز جيربنر في هذا المجال على زيادة إدراك العنف في الأعمال التلفزيونية و وصف العالم الخارجي به لدى المشاهدين الذين يعيشون في ظروف عنف غير عادية و يتعرضون للتلفزيون بكثافة أعلى .و هذه النتيجة أكدتها أيضا الدراسات النفسية حيث انتهت إلى أن التلفزيون يؤثر في مجال العدوانية على من لهم الميل المبكر للعدوانية و لكن بطرق مختلفة.

أهم فرضيات النظرية :

1/ يعتبر التلفزيون وسيلة فريدة للغرس: وترجع اهمية التلفزيون وتفرده عن غيره من وسائل الاتصال لشيوع وجوده في المنازل وسهولة التعرض له كما يساهم في تنشئة الأطفال بدرجة لا تحدث مع الوسائل الأخرة حيث يجد الطفل نفسه مستغرقا في بيئة التليفزيون منذ ولادته نظرا لتوافر عناصر الصورة والصوت والحركة واللون ،كما يقضي الطفل معظم أوقاته أمام التليفزيون نظرا لسهولة استخدامه .

2/يقدم التليفزيون عالما متماثلا من الرسائل والصور الذهنية تعبر عن الاتجاه السائد:

الغرس عبارة عن عملية ثقافية تؤدي الي خلق مفاهيم عامة توحد الاستجابة لأسئلة ومواقف معينة ،ولا ترتبط بالحقائق والمعتقدات المنعزلة ،وتأتي هذه المفاهيم من التعرض الكلي لبرامج التليفزيون وليس من خلال بعض البرامج المنتقاة. ويقوم التلفزيون بدور مهم في حياتنا لأنه يعكس الاتجاه السائد لثقافة المجتمع.

3/تحليل مضمون الرسائل الإعلامية يقدم علامات الغرس: يفترض ان يعكس اسئلة المسح المستخدمة في تحليل الغرس ما يقدمه التلفزيون في الرسائل التليفزيونية لجماعات كبيرة من المشاهدين على فترات زمنية طويلة مع الاهتمام بالتركيز على قياس المشاهدة الكلية ، وأسئلة المسح المستخدمة في تحليل الغرس يجب ان تتجه نحو اعتبارات العالم الواقع وهو المطلب الاول لعملية الغرس.

4/يرتكز تحليل الغرس على تدعيم استقرار المجتمع وتجانسه: يعمل التلفزيون على تحقيق الاتجاهات الثقافية الثابتة والنافذة، كما يعمل على تنمية المفاهيم والسلوكيات المتماسكة في المجتمع، بمعنى ان مساهمة التليفزيون تبدو وكأنها تحقق التجانس داخل الفئات الاجتماعية المختلفة ،ويمكن ملاحظة هذا التماسك من خلال مقارنة كثيفي المشاهدة بقليلي المشاهدة من نفس الجماعة.

5/ تشكل الرسائل التليفزيونية نمطا متماسك: يرتبط الغرس كعملية ثقافية بإطار متماسك من المعلومات ومعاني المفاهيم العامة التي تتمثل في استجابات إلى أسئلة معينة أكثر من ارتباطه بحقائق أو معتقدات معزولة، فالتنوع في شكل البرامج أو أساليب تقديمها لا يتم التركيز عليه ففي تحليل الغرس لان التحليل يتم اساسا بالأفكار والصور العامة التي تقدمها البرامج.